

ومن أهم الانتقادات والمآخذ على هذا الحدس البرجسونى أنه لم يأخذ فى الاعتبار أى وزن لعلاقة الفنان بالتراث الفنى كما أنه يلغى أهمية الصلة بين الفنان وواقعه الاجتماعى ، لأن دوافع الفنان تأتي من داخله فقط . كما أن تعلق برجسون بالاستبطان جعله يقدم لنا دراسة انطباعية ، وهذا المنهج لا يتجاوز مستوى الوصف الذى لا يكفى وحده للتقدم نحو التفسير .

وقد أشار " وستكوت " Westcott الى الآراء المتعارضة التى تعرضت لدراسة الحدس والتى كانت فى معظمها تنحو نحواً ميثافيزيقياً ، وأوضح أن هنرى برجسون يعد من أكثر المسئولين عن شيوع هذا النوع من التفكير . فالإبداع يمر بمراحل مختلفة ، وبالتالي لا بد أن نتجاوز الدعاوى التى تذهب الى فورىة الفعل الإبداعى وحدوثه نتيجة الهام مباشر أو فيض تلقائى ، وهى دعاوى مستمدة من خلال تقارير المبدعين عن أنفسهم أو من خلال مقابلة خاصة معهم ، حيث يتصور هؤلاء المبدعون أن أفكارهم العظيمة قد هبطت اليهم من السماء أو جاءت اليهم من الخارج ، وهى نتائج مشكوك فيها وكثير ما يجهل الفنان نفسه ويعجز عن تحديد مظاهر أصالته وإبداعه .

ونخلص مما سبق الى أن الإبداع ينطوى على كثير من العناصر الشعورية واللاشعورية ، ويقع ما بين الإرادة والتلقائية . والانتاج الإبداعى إنما يشبه - كما يرى البعض - عملية الولادة ، فهو يستلزم التلقيح والحمل والحضانة وما الى ذلك . وكما أن هناك كثيراً من التغيرات البيولوجية التى تطرأ على المرأة أثناء الحمل ، دون وعيها بها ، فإن هناك كثيراً من الأحداث الباطنية - التى تتحقق فى أعماق نفس الفنان أثناء عملية الإبداع دون أن يكون على علم واضح بها . فالإبداع ليس مجرد عملية لاشعورية ، بل يتضمن خبرة حسية طويلة ، فلم تكن لوحات " فان جوخ " مثلاً وليدة الهام